والسبي ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل الآية نزلت في مشركي
مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الإسلام ومنعوهم من حجه
والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى
والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة يقول الله تعالى أي
أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها
عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي في الموسم لما نزلت
سورة براءة ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا
خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم فإن قلت
كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد
وهو إما بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت يجوز أن يجيء الحكم عاما وإن كان
السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين
فإن قلت أي القولين أرجح قلت رجح الطبري القول الأول وقال إن
النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل أن مشركي مكة لم
يسعوا في خراب المسجد الحرام وإن كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض الأوقات من الصلاة فيه وأيضا فإن الآية التي قبل هذه وبعدها
في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون
المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بأن النصارى
يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع
حجهم وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال
وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد
أو بعض الأزمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا
فثم وجه الله في سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب
وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم

انهم لم

أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت
هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل
منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت به
راحلته ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر
راحلته حيث كان وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة
إلى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله
الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت
المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا
وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل إنما نزلت
في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاءوا
من النواحي ثم إنها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام ومعنى الآية أن لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا
وإنما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لأن له كلها
وما بينهما خلقه وعبيده وأن على جميعهم طاعته فيما أمرهم به
ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فإن القبلة ليست
قبلة لذاتها بل لأن الله تعالى جعلها قبلة وأمرنا بالتوجه إليها فأينما
تولوا فثم وجه الله أي فهناك قبلة الله التي وجهكم إليها وقيل
معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى
لا بمعنى الصورة وقيل فثم رضا الله أي تريدون بالتوجه إليه رضاه
إن الله واسع من السعة وهو الغني أي يسع خلقه كلهم بالكفاية
والإفضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم أي بأعمالكم